الفصل الثانى

مصادر التربية الإسلامية

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : السنة النبوية

ثالثاً : الفكر التربوى للسلف الصالح والتابعين

رابعاً : أى فكر تربوى لايتعارض مع تعاليم الإسلام

الفصل الثانى
مصادر التربية الإسلامية

يأتى القرآن الكريم والسنة النبوية فى مقدمة مصادر التربية الإسلامية وبعدهما تأتى بقية المصادر الأخرى، متماشية مع هذين المصدرين، وليست متعارضة معهما على أقل تقدير.

ويمكن تناول مصادر التربية الإسلامية، موجزة، على النحو التالى:

أولاً: القرآن الكريم:

وهو المصدر الأساسى الأول للتربية الإسلامية، والذى تستمد منه، وفى هديه، أهدافها، ومادتها، وطرقها ووسائلها، والذي على ضوئه تقيم تلك التربية وتعدل. فهو كلام الحق تبارك وتعالى، ومنهجه الشامل للحياة بكاملها. «فمن أقدر من الله خالق كل شىء على تقديم الهداية الكاملة للبشرية؟ وأى منهج غير المنهج الإلهى يستطيع أن ينهض بحاجات النفوس البشرية، ويفى بمطالبها ويغذى عواطفها ومشاعرها، ويتابع تطورها ونموها، ويستوعب قضاياها، ويلاحظ أزماتها ويلائمها فى تطورها الصاعد، ويقودها على طريقة الكمال بتؤدة ورفق؟»[1].

والقرآن الكريم، هو كلام الخالق العليم، والذى فيه «يخاطب النفس الإنسانية مخاطبة العليم بأسرارها ،الخبير بما يفسدها أو يزكيها، المطلع على مواطن القوة والضعف فيها»[2].

﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

والقرآن الكريم:

﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ [الطارق: ١٣، ١٤].

وهو القول الحق الذى:

﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]. والذي فيه الهداية والصلاح، كما قال فيه الحق تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وكما وصفه الرسول بقوله:

«عليكم بكتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم. هو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق من كثرة الرَّد، ولا تنقضي عجائبه. من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن خاصم به أفلح. ومن دعى إليه هُدى إلى صراط مستقيم»[٣].

وللقرآن الكريم تطبيقاته وآثاره التربوية، التى يصعب - إن لم يستحيل - حصرها. وذلك لكثرتها، من جهة، ولقصور العقل البشرى عن إدراكها كاملة، من جهة أخرى. وكل ما يمكن تقديمه هنا، هو مجرد محاور أو مجالات عامة، يندرج تحت كل منها عدد كبير من تلك الفوائد والآثار التربوية.

وهذه المجالات هى :

١- آثاره فى تربية (الفرد) تربية شاملة ومتكاملة: جسمياً، وعقلياً، واعتقادياً، وروحياً، وخلقياً، واجتماعياً، ونفسياً، وإرادياً، وجنسياً، وجمالياً.

٢- آثاره فى تربية (الجماعة) وتنظيم الحياة فى داخلها، أياً كانت هذه الجماعة: جماعة الأسرة، أو جماعة السكن والجوار، أو جماعة الرفاق والصحبة، أو

جماعة الشركاء فى تجارة أو عمل، أو غير ذلك من جماعات. وله آثاره فى تربية كل من هذه الجماعات وتنظيم حركة الحياة فيها، ومن جميع جوانبها: الاجتماعية، والإنسانية،و والخلقية، وغير ذلك من جوانب.

٣- آثاره فى تنمية وبناء (المجتمع) و (الأمة)، مع إمكانية اتساع الأمة لتشمل البشرية بكاملها. ومن جميع جوانب شخصية المجتمع والأمة: دينياً، وسياسيًا واقتصادياً، واجتماعياً، وأخلاقياً، وعسكرياً، وحضارياً.

ثانياً: السنة النبوية:

وهى المصدر الأساسى الثانى للتربية الإسلامية. وهى «كل ما أثر عن النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خُلقية أو سيرة»(٤). وهى «الصورة العملية التى طبق بها النبى ﷺ وأصحابه أوامر القرآن ومقاصده»(٥).

والسنة النبوية لاتتعارض مع القرآن الكريم. ولا تحيد عنه. وإنما هى إيضاح لما جاء به وتبيان. فقال تعالى:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣, ٤].

فالسنة «إما مؤكدة لما فى القران الكريم، أو مبينة له بتفصيل لمجمله، أو تقييد لمطلقه وتخصيص لعامه»(٦).

وقد أكد المولى سبحانه وتعالى على ضرورة التمسك بسنة رسوله ﷺ، حيث قال:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وللتمسك بالسنة النبوية آثار وفوائد تربوية جمة، يصعب - إن لم يستحيل - حصرها، لكثرتها، من جهة، ولارتباطها وتماشيها مع القرآن الكريم الذى لاتنحصر فوائده ولا تنقضى عجائبه، من جهة أخرى. وإذا كان القرآن الكريم

منهجًا شاملاً للحياة بكاملها، فى مجال التربية، وفى غير مجال التربية، فإن للسنة النبوية آثارها وفوائدها فى المجال التربوى، «بإيضاح المنهج التربوى الإسلامى المتكامل الوارد فى القرآن الكريم»[٧]، إيضاحاً قولياً وعملياً. فنجده ﷺ «يقدم لنا نحن المربين من خلال حياته العملية ومن خلال أحاديثه عديداً من اللمحات والنظرات والمواقف ما يشكل فى جملته معيناً رائعاً نستطيع أن نغترف منه الكثير فى عالم التربية والتعليم»[٨].

وهكذا يمكن تلخيص الآثار والفوائد التربوية للسنة النبوية فى عدة محاور رئيسية - يندرج تحت كل منها عدد يصعب حصره من تلك الآثار والفوائد - على النحو التالى:

١- التأكيد على المنهج الشامل المتكامل الوارد فى القران الكريم.

٢- شرح وإيضاح ذلك المنهج التربوى الإلهي، ولاسيما فيما يتعلق بالتفصيل لمجمله[٩]، والتقييد لمطلقه والتخصيص لعامه.

٣- التطبيق العملى لذلك المنهج التربوى القرآنى، فى شخصيته ﷺ، ثم فى شخصيات صحابته رضوان الله عليهم أجمعين. فقد كان خلقه القرآن، كما كان خير قدوة لصحابته.

٤- أوامره وتوجيهاته المربية. لأنه المعلم والمربى الرائد، فى تربيتنا الإسلامية، بعد أن تلقى تربيته على يدى الرب سبحانه وتعالى.

ثالثاً: الفكر التربوى للسلف الصالح والتابعين:

والسلف الصلاح «هم الأوائل الذين اتبعوا سنة الرسول ﷺ، وكانوا عليها أمناء»[١٠]، وفى مقدمتهم الخلفاء الراشدين وصحابة رسول الله، وفكرهم التربوى نابع من الدين الإسلامى، ومستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية.

والتابعون هم كل من تبعهم بإحسان فى التمسك بكتاب الله وسنة نبيه، والتربى على أساسهما. ومن ثم جاء فكرهم التربوى - أيضاً - مستمدا من المصدرين الأساسيين، القرآن والسنة.

وقد «أعطى القرآن الكريم للناس مراتبهم، فجعل السابقين من المهاجرين والأنصار فى مقدمة الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه، ثم جعل الباب إلى هذا الرضى مفتوحاً لمن تبعهم بإحسان»[١١]، فقال الحق تبارك وتعالى:

﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ومن هؤلاء التابعين: «أئمة الفقه الأربعة: أحمد والشافعى ومالك وأبو حنيفة، وأمثالهم من الأئمة الآخرين. وأئمة التفسير: الطبرى وابن كثير والبغوى والقرطبى، وأمثالهم. وأئمة الحديث النبوى: البخارى ومسلم والنسائى والترمذى، وأشباههم»[١٢].

ومن التابعين أيضاً علماء التربية الإسلامية، وإن لم يكونوا قد ركزوا اهتمامهم فى أمر التربية وحدها، فقد برعوا فى مجالات أخرى مختلفة من الحياة، وكتبوا فيها بجانب ما كتبوه فى التربية، أو كتبوا فى التربية ضمن ماكتبوه فى تلك المجالات.

ومن بين هؤلاء على سبيل الذكر لا الحصر:

«الإمام جعفر الصادق (٠٠٠-١٤٨هـ) والخليل الفراهيدى (٠٠٠-١٧٥هـ) والجاحظ (٠٠٠-٢٥٥هـ)، وابن سحنون (٢٠٢-٢٥٦هـ)، وابن قتيبة الدينورى (٠٠٠-٢٧٦هـ)، وابن خلاد الرامهرمزى (٢٦٥-٣٦٠هـ)، وابن الجزار القيروانى (٢٨٥-٣٦٩هـ)، وأبو الحسن العامرى النيسابورى (٠٠٠-٣٨١هـ)، وابن أبى زيد القيروانى (٣١٠-٣٨٦هـ)، والقابسى (٣٢٤-٤٠٣هـ) وابن عبد ربه الأندلسى (٠٠٠-٤٠٣)، وأبو حيان التوحيدى (٣١٠-٤١٤هـ)، وابن مسكويه (٠٠٠-٤٢١هـ)، وابن سينا (٣٧٠-٤٢٨هـ) والماوردى (٣٦٤-٤٥٠هـ)، وابن حزم (٣٨٤-٤٥٦هـ)، وابن عبد البر القرطبى

(٣٦٨-٤٦٣هـ)، والخطيب البغدادى (٣٩٢-٤٦٣هـ) والغزالى (٤٥٠-٥٠٥ هـ)، وابن العربى (٠٠٠-٥٤٣هـ)، وابن طفيل (٥٠٠-٥٨١هـ) وابن الجوزى (٥١٠ - ٥٩٧هـ)، وابن رشد الحفيد (٥٢٠- ٥٩٧هـ)، وفخر الدين الرازى (٥٤٣-٦٠٦هـ)، والزرنوجى (٠٠٠-٦٢٠هـ)،وعز الدين الشافعى (٥٧٧ -٦٦٠هـ)، ونصر الدين الطوسى (٥٩٧-٦٧٢هـ) وابن أبى أصيبعة الخزرجى (٦٠٠-٦٦٨هـ)، وابن تيمية (٦١١-٧٢٨هـ) وبدر الدين بن جماعة (٦٣٩-٧٣٣هـ)، وابن الحاج العبدرى (٥٦٧-٧٣٧هـ)، ومحمد الذهبى (٦٧٣-٧٤٨هـ)، وابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ)، والتاج السبكى (٧٢٧-٧٧١هـ)، وابن خلدون (٧٣٢-٨٠٨هـ) وأحمد بن أبى جمعة المغراوى (٠٠٠-٩٢٩هـ)، وحاجى خليفة (١٠١٧-١٠٦٧هـ)، ومحمد بن عبد الوهاب (١١١٥-١٢٠٦هـ)، وخير الدين التونسى (١٢٣٧-١٣٠٧هـ)، وعلى مبارك (١٣٢٩-١٣١١هـ)، وعبد الرحمن الكواكبى (١٢٧١-١٣٢٠هـ)، ومحمد عبده (١٢٦٦-١٣٢٣هـ)، ومحمد رشيد رضا (١٢٩٣-١٣٥٤هـ)»[١٣].

والتربية الإسلامية تنهل من فكر هؤلاء السلف والتابعين لهم بإحسان، ومن سلوكياتهم وتعاملاتهم ومما قاموا به من أعمال وما قدموه من خدمات. فتنهل من فكرهم التربوى الإسلامى الذى نجده ممزوجاً فى «فقه الفقهاء، وأدب الأدباء، وفكر المفكرين، وفلسفة الفلاسفة، ثم فى الفكر التربوى المستقبل لفلاسفة التربية المسلمين»[١٤].

ذلك الفكر التربوى الثرى، الذى تناول التربية من مختلف أبعادها وجوانبها. والذى يمكن بلورته فى عدة محاور، من أبرزها:

١- أهداف التربية وأهداف التعليم.

٢- مادة التربية ومنهج التعليم.

٣- جوانب التربية ومجالاتها.

٤- أساليب التربية وطرقها.

٥- وسائل التربية ووسائل التعليم.

٦- مراحل التعليم وأوقات الدراسة.

٧- آداب المتعلم.

٨- واجبات المعلم.

٩- إلزامية التعليم وتمويله.

١٠- تقويم التربية وتقويم التعليم.

رابعاً: أى فكر تربوى لا يتعارض مع تعاليم الإسلام:

بعد أن تنهل التربية الإسلامية من مصدريها الأساسيين (القرآن - والسنة)، ثم من الفكر التربوى للسلف الصالح والتابعين لهم بإحسان، يحق لها أن تأخذ من أى فكر تربوى عالمى (شرقى أو غربى - قديم أو معاصر)، شريطة ألا يكون ما تأخذه هذا متعارضاً مع تعاليم الدين الإسلامى.

فذلك رسول الله ﷺ يأمر من يتعلم لغة اليهود، حتى يأمن مكرهم عند عقد المواثيق معهم. وهو نفسه عليه السلام يستعين بخبرة أحد مشركى قريش كدليل على الطريق فى هجرته من مكة إلى المدينة، «وهو عبد الله بن أريقط» الذى كانت مهمته سلوك طريق غير معروف، تضليلاً للقوم المشركين»[١٥]. مؤكداً بذلك على ضرورة الاستفادة من معارف الآخرين وخبراتهم متى اقتضت الضرورة ذلك.

والرسول المربى ﷺ، كما حث على طلب العلم، وجعل طلبه فريضة وتعلمه عبادة، طالب بالبحث عن ذلك العلم مهما كان موطنه. فقال عليه السلام:

«اطلبوا العلم ولو فى الصين، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم»[١٦].

وقال: «الحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها فهو أولى الناس بها»[١٧].

وفى رواية: «العلم ضالة المومن، حيث وجده أخذه»[١٨]. مؤكداً بذلك على ضرورة الأخذ والاستفادة من علوم الآخرين وخبراتهم، بصرف النظر عن مواطنهم وديانتهم.

وقد عنيت التربية الإسلامية، ولاسيما فى عصورها الذهبية، بالاطلاع على علوم الآخرين، «وترجمة ما يستحق الترجمة منها»[١٩]. فوصل «تشجيع الخلفاء للعلماء والمترجمين بأن كانوا يعطونهم وزن كتبهم ومؤلفاتهم وترجماتهم - فى العلوم المختلفة - ذهباً، تشجيعاً لهم على ذلك، كما حذا حذوهم فى ذلك المضمار وزراؤهم وكبار رجال الدولة»[٢٠].

والتربية الإسلامية فى الوقت المعاصر، ليست بتربية منغلقة، ويجب ألا تكون منغلقة، على ذاتها، بل هى تربية منفتحة ونامية، ويجب أن تكون كذلك. لأن هناك أموراً متغيرة، تتغير تبعا لظروف المجتمع والعصر، مما يجعل هناك ضرورة لوجود مرونة كافية لمواجهة مثل هذه الظروف والمتغيرات.

ولكن فى انفتاح التربية الإسلامية المعاصرة على التربيات والحضارات الأخرى المعاصرة، انتقاءً وغربلة، مع إخضاع كل ما تأخذه لتعاليم الدين الإسلامى. ومعنى هذا «أن الانفتاح على ثقافات العالم، ونظمه التربوية، وحضارات العالم، وأخذ الجيد، مما يمكن أن ينفع فى النظام التربوي الإسلامى، بحيث لا يتعارض مع الثوابت - لمن الواجبات التى يجب أن تأخذ بها تلك التربية»[٢١]؛ وذلك لأن التقدم العلمى والحضارى بالأمة الإسلامية، واللحاق بركب التطور والرقى والازدهار العالمى المعاصر، إنما يتم فى ظل نظام تربوى يساير التقدم الحادث فى الأنظمة التربوية المعاصرة.

هوامش الفصل الثانى

(١) سعيد إسماعيل على : **الأصول الإسلامية للتربية** - القاهرة - دار الفكر العربى - ط٣ - ١٩٩٢، ص ٧٩. نقلاً عن : توفيق محمد سبع: **نفوس ودروس فى إطار التصوير القرآنى** - جـ١، القاهرة - مجمع البحوث الإسلامية، (٣٤) من سلسلة البحوث الإسلامية - أغسطس ١٩٧١، ص ٧٧.

(٢) محمد شديد : **منهج القرآن فى التربية** - بيروت - مؤسسة الرسالة - ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٦٧.

(٣) فى : عبد الحليم محمود : **القرآن والنبى ﷺ** - القاهرة - دار الكتب الحديث - د.ت، ص ٥٩-٦٠.

(٤) سعيد إسماعيل على : **الأصول الإسلامية للتربية** - مرجع سابق، ص ٢٣٧.

(٥) محمد رأفت سعيد : **الرسول المعلم ومنهجه فى التعليم** - الرياض - دار الهدى للنشر والتوزيع - ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٧٠.

(٦) المرجع السابق، ص ٧٤. نقلاً عن: مصطفى السباعى: **السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى**، ص ٣٥١.

(٧) صالح سالم باقارش، وعبد الله محمود السبحى: **أصول التربية العامة والإسلامية** - حائل - دار الأندلس للنشر والتوزيع - ط٢ - ١٤١٦هـ، ص ١٦٠.

(٨) سعيد إسماعيل على : **الأصول الإسلامية للتربية** - مرجع سابق، ص ٢٧٩.

(٩) سعيد إسماعيل على : **اتجاهات الفكر التربوى والإسلامى** - القاهرة - دار الفكر العربى - ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص ص ٥٥.

(١٠) صالح سالم باقارش، وعبد الله محمود السبحى : مرجع سابق، ص ١٦٠.

(١١) محمد رأفت سعيد: مرجع سابق، ص ١٣٠.

(١٢) أحمد محمد جمال: **نحو تربية إسلامية** - جدة - تهامة للطباعة والنشر - ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠، ص ١٢٢.

(١٣) (أ) مكتب التربية العربى لدول الخليج : **من أعلام التربية العربية الإسلامية** - (جـ٢، جـ٣، جـ٤) - الرياض - مطبعة مكتب التربية العربى لدول الخليج - ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، صفحات متفرقة.

(ب) صالح سالم باقارش، وعبد الله علي الآنسى: **مشاهير الفكر التربوى عبر التاريخ** - مكة - شركة مكة للطباعة والنشر - ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص ص ٢٩٢ - ٣٧٠.

(١٤) عبد الغنى عبود : **فى التربية الإسلامية** - القاهرة - دار الفكر العربى - ١٩٧٧، ص ١٥١.

(١٥) صالح أحمد الشامى : **من معين السيرة** - بيروت - المكتب الإسلامى - ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، ص ١٤٠، ١٤٧.

(١٦) الحافظ إسماعيل العجلونى : **كشف الخفاء ومزيل الألباس** - جـ١ - تعليق : أحمد القلاش - بيروت - مؤسسة الرسالة - ط٤ - ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م - حديث ٣٩٧، ص ١٥٤.

(١٧) المرجع السابق، حديث ١١٥٩، ص ٤٣٥.

(١٨) الحافظ إسماعيل العجلونى : **كشف الخفاء ومزيل الألباس** - جـ ٢ - تعليق : أحمد القلاش - بيروت - مؤسسة الرسالة - ط٤ - ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م - حديث ١٧٦٦، ص ٨٩.

(١٩) محمد عطية الأبراشى : **التربية الإسلامية وفلاسفتها** - القاهرة - دار الفكر العربى - ط٣ - ١٩٧٦، ص ٣٩.

(٢٠) بدر محمد ملك، وخليل محمد أبو طالب: **السبق التربوى فى فكر الشافعى** - الكويت - مكتبة المنار الإسلامية ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م، ص ٣٢٧.

(٢١) على خليل أبو العينين : **فلسفة التربية فى القرآن الكريم** - القاهرة - دار الفكر العربى - ١٩٨٠، ص ٣٠٠-٣٠١.